### اَلْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالأَرْبَعُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ. فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ. 2الرَّبُّ يَحْفَظُهُ وَيُحْيِيهِ. يَغْتَبِطُ فِي الأَرْضِ،
وَلاَ يُسَلِّمُهُ إِلَى مَرَامِ أَعْدَائِهِ. 3الرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الضُّعْفِ. مَهَّدْتَ مَضْجَعَهُ كُلَّهُ فِي مَرَضِهِ.
4أَنَا قُلْتُ: «يَا رَبُّ ارْحَمْنِي. اشْفِ نَفْسِي لأَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ». 5أَعْدَائِي يَتَقَاوَلُونَ عَلَيَّ بِشَرٍّ: «مَتَى
يَمُوتُ وَيَبِيدُ اسْمُهُ؟». 6وَإِنْ دَخَلَ لِيَرَانِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَذِبِ. قَلْبُهُ يَجْمَعُ لِنَفْسِهِ إِثْماً. يَخْرُجُ فِي الْخَارِجِ يَتَكَلَّمُ. 7كُلُّ
مُبْغِضِيَّ يَتَنَاجُونَ مَعاً عَلَيَّ. عَلَيَّ تَفَكَّرُوا بِأَذِيَّتِي. 8يَقُولُونَ: «أَمْرٌ رَدِيءٌ قَدِ انْسَكَبَ عَلَيْهِ. حَيْثُ اضْطَجَعَ لاَ يَعُودُ
يَقُومُ». 9أَيْضاً رَجُلُ سَلاَمَتِي الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!
10أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَارْحَمْنِي، وَأَقِمْنِي فَأُجَازِيَهُمْ. 11بِهذَا عَلِمْتُ أَنَّكَ سُرِرْتَ بِي: أَنَّهُ لَمْ يَهْتِفْ عَلَيَّ
عَدُوِّي. 12أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي دَعَمْتَنِي، وَأَقَمْتَنِي قُدَّامَكَ إِلَى الأَبَدِ. 13مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى
الأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ.

# المحسِن الكريم

هذا المزمور هو نهاية الجزء الأول من كتاب المزامير، الذي يتناسق مع سفر التكوين، وموضوعه سمو الإنسان وسقوطه. وهو يبدأ كما بدأ المزمور الأول بالتطويب. ويصوِّر مزمورنا الإنسان السامي الكريم المحسن الذي يعطي الفقراء ويعتني بالمساكين، كما يصوِّر الإنسان الساقط، الذي نراه في أعداء المحسِن الكريم، الذين يتمنَّون له الموت وإبادة اسمه، لأنهم يغارون منه ولا يحتملون صلاحه. والنفوس المريضة لا تحتمل نور الصلاح والإحسان، فبعد أن خلقها الله على صورته كشبَهه، تشوَّهت بسبب العصيان. وهناك فرق شاسع بين الإنسان كما يريده الله وبينه كما يحيا، فقد خلقه في كرامة ولكنه يسيء السلوك ويرتكب الشرور.

كتب داود هذا المزمور في وقت مرضٍ أو اضطهاد أو جحود. لقد كان كريماً مع المحيطين به، وتوقَّع منهم أن يعاملوه بالمثِل، لكنه وجد العكس. ولعله كان يصف نفس الحالة وهو يقول: «كأنه قريبٌ، كأنه أخي كنتُ أتمشى.. لكنهم.. اجتمعوا عليَّ شاتمين» (مز 35: 14، 15). ولعل داود كتب هذا المزمور عن صديقه أخيتوفل، الذي هجره ليصبح مستشاراً لأبشالوم في محاولة انقلابه الفاشلة، في وقتٍ وقف فيه داود عاجزاً عن حماية نفسه (2صم 15).

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – سعادة المحسن الكريم (آيات 1–4)

ثانياً – شكوى المحسن الكريم (آيات 5–9)

ثالثاً – صلاة المحسن الكريم (آية 10)

رابعاً – ثقة المحسن الكريم (آيتا 11، 12)

خامساً – تمجيد ختامي (آية 13)

# أولاً - سعادة المحسن الكريم

## (آيات 1-4)

**1 - الكريم سعيد لأن الرب ينجيه:** «طوبى للذي ينظر إلى المسكين. في يوم الشر ينجيه الرب» (آية 1). وكلمة «المسكين» هنا تعني الفقير المحتاج إلى المال، وتعني أيضاً الضعيف والمريض والمكتئب والحزين المحتاج إلى من يفتقده ويزوره ويسأل عنه. ويطوِّب المرنم من يعتني بالفقير المحتاج إلى المال، أو بالضعيف المحتاج إلى الإسناد، أو بالمكتئب المحتاج إلى تعزية، الذي يحقِّق قول المسيح: «جعتُ فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليَّ». فيجيبه الأبرار: «يا رب، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك، ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟» فيجيب: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت 25: 35-40) ويقول المسيح في التطويبة الخامسة: «طوبى للرحماء لأنهم يُرحَمون» (مت 5: 7) في يوم الشر، وهو يوم المصائب غير المتوقَّعة، إذ يكون الإنسان في سلام، وفجأة تحلُّ به كارثة، فيُصدَم، لأنه يُؤخذ على غير استعداد.. في يوم الشر غير المنتظَر يقف الله بجوار المحسن الكريم فيرفعه فوق الصدمة. كم مرة كان داود على وشك الوقوع في يدي الملك شاول، وفي كل مرة كان الرب ينجيه. وجَّه شاول الرمح مرتين نحوه ليقتله فدخل الرمح في الحائط ونجا داود (1صم 18: 11). وعندما دخل شاول إلى الكهف الذي كان داود نائماً فيه، حفظ الله داود فلم يره شاول (1صم 24: 3-5).

في مثَل الغني ولعازر نجد الفقير مطروحاً عند باب الغني مضروباً بالقروح، بينما الغني يتنعَّم في قصره (لو 16: 19-31). ولا يذكر المسيح للغني خطية، فلم يكن هناك خطأ في مصدر أمواله، ولا في إنفاقها بتبذيرٍ على الشرور والأشرار. لكن خطأه كان في أنه لم ينظر إلى المسكين، ولم يفكر أبداً أن يرسل له معونة. «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (يع 1: 27).

**2 - الكريم سعيد لأن الرب يُحييه:** «الرب يحفظه ويُحييه. يغتبط في الأرض، ولا يسلِّمه إلى مرام أعدائه» (آية 2). يحيي الرب المحسن الذي يهتم بالمسكين، فيعطيه على أرضنا الحياة ذات المعنى وذات القيمة، ثم يمنحه الحياة الأبدية والخلود، لأن المسيح يحيا فيه، فتصبح حياة المسيح حياته. وهو يغتبط في الأرض، ويقول مع أيوب: «الأذن سمعت فطوَّبَتْني، والعين رأت فشهدَتْ لي، لأني أنقذتُ المسكين المستغيث، واليتيم ولا معين له» (أي 29: 11، 12). ولا يسلِّمه الرب إلى مرام مضايقيه، كما سبق وصلَّى: «لا تسلِّمني إلى مرام مضايقيَّ» (مز 27: 12).

**3 - الكريم سعيد لأن الرب يُعينه في مرضه:** «الرب يعضده وهو على فراش الضعف. مهَّدْتَ مضجعه كله في مرضه» (آية 3). يعضده (بمعنى يعينه وينصره) في مرضه فلا يهبط إلى القبر، فيقول: «تجعل لي ترس خلاصك، ويمينك تعضدني، ولطفك يعظمني» (مز 18: 35). عندما يصيبه المرض يمهِّد الرب مضجعه (بمعنى يبسط فراشه ويهيئه)، ويعامله كإنسان تعزِّيه أمه (إش 66: 13)، عندما تسند رأسه وتعدِّل وضع وسادته ليستريح. يعتني الله بالمؤمن في مختلف مراحل الحياة، ويريحه في كل حالة، لأن عين الرب دائماً على محبّيه.

**4 - الكريم سعيد لأن الرب يغفر له:** «أنا قلتُ: يا رب ارحمني. اشفِ نفسي لأني قد أخطأت إليك» (آية 4). يربط المرنم بين المرض والخطية، فالتأديب الإلهي بالمرض قد يكون نتيجة انحراف عن الله، فنقول: «هلمَّ نرجع إلى الرب،

لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيجبرنا» (هو 6: 1). وقد لا يكون المرض نتيجة الخطية، كما قال المسيح عن المولـــود أعمى: «لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه» (يو 9: 3). فنحن نمرض سواء أخطأنا أو لم نخطئ. وفي فترة المرض ينقينا الله ليجعلنا أكثر قرباً منه وأكثر اعتماداً عليه، فنقول: «اشفِني يا رب فأُشفى. خلِّصني فأُخلَّص، لأنك أنـــت تسبيحتي» (إر 17: 14). وجديرٌ بنا كمؤمنين أن نحيا حياة الاعتراف لله مهما بدت حياتنا لنا أو لغيرنـــا طـــاهرة، فلســـنا صالحين من أنفسنا، لكننا نستمد صلاحنا منه هو. وجديرٌ بنا أيضاً أن ندرك أن الله لم يعِدْنا بصحةٍ وراحة دائمـــة، لكنـــه وعدنا أن يكون معنا وأن يريحنا في الصحة وفي المرض.

# ثانياً - شكوى المحسن الكريم

## (آيات 5-9)

بركات الإنسان الكريم أكيدة وكثيرة، ولكن حياته لا تخلو من مشاكل تجعله يشكو.

**1 - مشاكل من أعدائه:**

**(أ) يشكو من سوء نيَّـتهم:** «أعدائي يتقاولون عليَّ بشرٍّ: متى يموت ويبيد اسمه؟» (آية 5). يتمنـــى لـــه الأعـــداء الـــمـــوت وإبـــادة الذكرى قائليـــن: «لتنقرِض ذرِّيته. في الجيل القادم ليُمحَ اسمهم» (مز 109: 13). صـــحيحٌ أن داود سيموت في الموعد الذي حدَّده الله، لكن اسمه لن يُباد. مات داود وانتقل من أرضنا ليحيا في المحضر الإلهي إلى الأبد، لأنه حيث يكون السيد هناك يكون عبده، وحيث يكون المعلم يكون تلميـــذه (يو 14: 3). لكن لا يمكن أن يبيد ذكره، و«الصدِّيق يكون لذكرٍ أبدي» (مز 112: 6) لأن داود باقٍ إلى يومنا في مزاميره التي تملأ قلوبنا بالبهجة والثقة في الرب، لأنها تعبِّر عن أُنس الإنسان بربِّه.

**(ب) يشكو من نفـاقهم:** «وإن دخل ليراني يتكلم بالكذب. قلبه يجمع لنفسه إثماً. يخرج. في الخارج يـــتكلم» (آية 6). لما كان داود مريضاً كان أعداؤه يزورونه للسؤال عنه، وفي نفاقٍ يعبِّرون عن مشاعرهم الطيبة، وهم في حقيقة الأمر يجمعون عنه معلومات ليهاجموه بها ويسخروا منه. وعندما يخرجون من عنده يتكلمون ضده، ويذيعون ما عرفـــوه عنه، ويحرِّفون كلامه ليسيئوا إلى سمعته.

**(ج) يشكو مـن مناجـاتهم:** «كل مبغضيَّ يتناجون معاً عليَّ. عليَّ تفكروا بأذيتي. يقولون: أمرٌ رديء قـــد انسكب عليه. حيث اضطجع لا يعود يقوم» (آيتا 7، 8). بعد أن يخرج الأعداء من زيارته يلتقون ببقية أعدائه المنتظـــرين في الخارج ليعرفوا أخباره، فيتهامسون سراً يتمنَّون له الأسوأ، ويرجون أن يكون هذا مرضه الأخير الذي سينتهي به إلى القبر. قال النبي: «لأني سمعتُ مذمَّةً من كثيرين.. يقولون: اشتكوا، فنشتكيَ عليه. كل أصحابي يراقبون ظَلْعي (عَرَجـــي) قائلين: لعله يُطغَى فنقدر عليه وننتقم منه» (إر 20: 10).

**2 - مشـاكل مـن أحبائـه:** «أيضـــاً رجـــل ســـلامتي الـــذي وثقت به، آكِل خبزي رفع عليَّ عقبه» (آية 9). ربما يقصد داود بـــ«رجل سلامته» أخيتوفل، مستشاره والآكل على مائدته، ولكنه خانه واتَّفق مع أبشالوم في الانقلاب الفاشـــل ضده (2صم 15: 12، 31). واقتبس المسيح، وقت العشاء الأخير، هذه الآية عن يهوذا الإسخريوطي، فقال: «الذي يأكـــل معي الخبز رفع عليَّ عقبه» (يو 13: 18). غير أن المسيـــح لم يقتبـــس الجـــزء الأول من الآية والذي يقول: «الـــذي

ونَقْتُ به» لأنه كان يعرف مُسلِّمه (يو 13: 21). فهذه الآية تصف حالة داود في شكواه، كما أنها نبوة عن المسيا الآتي الذي خانه يهوذا، رغم أن المسيا كان يعرف عن الخيانة قبل حدوثها.

# ثالثاً - صلاة المحسن الكريم

## (آية 10)

**رفع المرنم لله صلاة طلب فيها طِلبتين:**

**1 - طلب أن الله يرحمه:** «أما أنت يا رب فارحمني» (آية 10أ). يدرك داود أن الله رحيم، وأنه محتاج لرحمته. وهو يرى ضعفه وتقصيره وعدم استحقاقه، مع أن الوحي شهد له أن قلبه حسب قلب الله (أع 13: 22) لأن الله يرانا دوماً بعين محبته التي تستر خطايانا. «طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته. طوبى لرجلٍ لا يحسب له الرب خطية، ولا في روحه غش» (مز 32: 1). لكن داود يرى حالته كما هي، ويدرك مقدار حاجته إلى رحمة الله، كما قال مارتن لوثر: «سأقضي عمري أستجدي رحمة الله».

**2 - طلب أن الله يقيمه:** «وأقِمني، فأُجازيَهم» (آية 10ب). يصلّي داود هنا كملكٍ يتوقَّع أن يقيمه الله من فراش مرضه، أو من مصيبته، ويعيده إلى عرشه، فيوقِّع العقاب على الذين خانوه ورفعوا عليه عقِبهم. وعندما يقيمه يقول: «أصعَدَني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ. ثبَّت خطواتي» (مز 40: 2). ونحن ندرك اليوم أن الإقامة العظمى هي: «إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا.. الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا، أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف 2: 1-6). أقامنا وأجلسنا، كما أحيا ابنة يايرس، وأوقفها على قدميها (مر 5: 41). وعلى كل من نال مغفرة الخطايا بفضل محبة الله أن يقوم واقفاً على قدميه يشهد لمحبة المسيح، الذي يدعونا أن نخبر الآخرين بكم صنع بنا ورحمنا.

# رابعاً - ثقة المحسن الكريم

## (آيتا 11 و12)

**يعلن داود ثقته في أمرين:**

**1 - رضا الرب عليه:** «بهذا علمتُ أنك سُررت بي: أنه لم يهتف عليَّ عدوّي» (آية 11). تأكد داود أن الله راضٍ عليه لأن عدوَّه لم يهزمه لأن الله لم يسمح له بالهزيمة وجعل أعداءه يسالمونه. ورضا الله علينا يعني أنه لا شيء من الدينونة علينا، لأنه قد برَّرنا بالإيمان (رو 8: 1 و5: 1).

**2 - معونة الرب له:** «أما أنا فبكمالي دعمتَني، وأقمتَني قدامك إلى الأبد» (آية 12). الدَّعم هو الإعانة والتقوية والإسناد والتثبيت. وعندما يهاجم العدو سُمعة المؤمن يدعمه كماله لأنه بريء مما يتَّهمه العدو به. ويعتقد المرنم إن الله دعمه لأنه كان كاملاً. والكمال هنا هو كمال النيَّة، وليس الكمال المطلَق، وهو من عمل الرب وعطاياه، فروحه القدوس الساكن في المؤمن هو الذي يدعمه بالكمال، ليقوم أمام الله إلى الأبد. وعندما تزيد ثقتنا في الرب سننتصر على ضعفات الجسد.

لقد طلب الأعداء موت المرنم وإبادة اسمه (آية 5)، ولكنه واثق أنه سيقف أمام ملك الملوك، الذي يحقِّق لـه وعـده: «يأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (2صم 7: 16). «وعبيده يخدمونه، وهم سينظرون وجهه، واسمه على جباههم» (رؤ 22: 3، 4).

# خامساً - تمجيد ختامي

## (آية 13)

«مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. آمين. فآمين» (آية 13). هذا تمجيدٌ يتكرر في نهاية كل قسم من أقسام المزامير، ينتهي به الكتاب الأول، الذي يحوي مزامير 1-41. كما ينتهي بمثله الكتاب الثاني (مزامير 42-72. انظر مز 72: 19)، والكتاب الثالث (مزامير 73-89. انظر مز 89: 52)، والكتاب الرابع (مزامير 90-106. انظر مز 106: 48). أما الكتاب الخامس (مزامير 107-150) فينتهي بمزمور 150 وكله تمجيد للرب!

ما أكثر الأسباب التي تدفعنا لأن نبارك الرب ونمجده! مبارك الإله الذي ينتمي إليه شعبُه، فهو «إله إسرائيل». يباركونه في ذاته، وفي صفاته، وفي أعماله. كله كمال وحب، وليس فيه مكر ولا غش ولا تضليل. نباركه في عمله معنا عبر السنين.. لقد خلَّصنا من خطيتنا، وفدانا من سطوتها، وأنعم علينا بالتبنّي، واعتنى بنا بحبٍّ عجيب. مبارك هو في أرضنا في مخلوقاته وفي حياة المؤمنين «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السماوات» (مت 5: 16)، ومبارك في الأبدية إذ يهتف له الملائكة والقديسون. مبارك دوماً من الأزل وإلى الأبد، لأنه إله الماضي والحاضر والمستقبل. ونؤكد هذا التمجيد بقولنا: «آمين فآمين» أي: ليكن هكذا! استجِب يا رب وحقِّق طِلبتنا، لأننا ندعوك بكل القلب.

# الجزء الثاني

## المزمور الثاني والأربعون
## إلى المزمور الثاني والسبعين

************

**اَلْمَزْمُورَانِ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ وَالثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ**

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. قَصِيدَةٌ لِبَنِي قُورَحَ

1كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ. 2عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى اللهِ، إِلَى الإِلهِ
الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ! 3صَارَتْ لِي دُمُوعِي خُبْزاً نَهَاراً وَلَيْلاً، إِذْ قِيلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ: «أَيْنَ إِلهُكَ؟».
4هذِهِ أَذْكُرُهَا فَأَسْكُبُ نَفْسِي عَلَيَّ. لأَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ مَعَ الْجُمَّاعِ، أَتَدَرَّجُ مَعَهُمْ إِلَى بَيْتِ اللهِ بِصَوْتِ تَرَنُّمٍ وَحَمْدٍ،
جُمْهُورٌ مُعَيِّدٌ. 5لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي، وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي اللهَ لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، لأَجْلِ خَلاَصِ وَجْهِهِ.
6يَا إِلهِي، نَفْسِي مُنْحَنِيَةٌ فِيَّ، لِذلِكَ أَذْكُرُكَ مِنْ أَرْضِ الأُرْدُنِّ وَجِبَالِ حَرْمُونَ، مِنْ جَبَلِ مِصْعَرَ. 7غَمْرٌ
يُنَادِي غَمْراً عِنْدَ صَوْتِ مَيَازِيبِكَ. كُلُّ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ طَمَتْ عَلَيَّ. 8بِالنَّهَارِ يُوصِي الرَّبُّ رَحْمَتَهُ، وَبِاللَّيْلِ
تَسْبِيحُهُ عِنْدِي صَلاَةٌ لإِلهِ حَيَاتِي. 9أَقُولُ للهِ صَخْرَتِي: «لِمَاذَا نَسِيتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟».
10بِسَحْقٍ فِي عِظَامِي عَيَّرَنِي مُضَايِقِيَّ بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: «أَيْنَ إِلهُكَ؟» 11لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي، وَلِمَاذَا
تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ اللهَ لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلاَصَ وَجْهِي وَإِلهِي.

اَلْمَزْمُورُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ

1اِقْضِ لِي يَا اللهُ، وَخَاصِمْ مُخَاصَمَتِي مَعَ أُمَّةٍ غَيْرِ رَاحِمَةٍ، وَمِنْ إِنْسَانِ غِشٍّ وَظُلْمٍ نَجِّنِي. 2لأَنَّكَ أَنْتَ
إِلهُ حِصْنِي. لِمَاذَا رَفَضْتَنِي؟ لِمَاذَا أَتَمَشَّى حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟ 3أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ
بِي إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ، 4فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ اللهِ، إِلَى اللهِ بَهْجَةِ فَرَحِي، وَأَحْمَدُكَ بِالْعُودِ يَا اللهُ إِلهِي.
5لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي، وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ اللهَ لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلاَصَ وَجْهِي وَإِلهِي.

# العطش إلى الله

يقول المفسِّر الألماني دليتش إن كاتب مزموري 42، 43 واحد من بني قورح رافق داود إلى محنايم بعد الانقلاب الفاشل الذي قام به ابنُه أبشالوم ضده (2 صم 15: 24). وبالرغم من أنين المرنم وانحناء نفسه وقتها وجد راحته في الأمل في الرب، فأخذ يحمده لأنه خلاصه.

يتكوَّن المزموران من ثلاثة أعداد ترنيم، ينتهي كلٌّ منها بقرار يتكرر، يقول فيه المرنم: «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجَّي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (42: 5، 11 و43: 5). ويوضح مزمورا 42، 43 أشواق المرنم الروحية في تلك المرحلة المؤلمة، فيصف مزمور 42 حالة التقي الذي يتألم بسبب بُعده عن مكان العبادة (آيات 1-5) ويصف سبيل العزاء في وقت هذا البُعد (آيات 6-11). بينما يوضح مزمور 43: 1-5 أشواق التقي الذي يجوز تلك المرحلة. وتنتهي كل فكرة من هذه الأفكار الثلاثة بإعلان الرجاء: «ارتجي الله لأني بعد أحمده».

## في هذين المزمورين نجد:

أولاً - حالة التقي (42: 1-5)

ثانياً - اكتئاب التقي وعزاؤه (42: 6-11)

# أولاً - حالة التقي
## (مزمور 42: 1-5)

**1 - حالة شوق:** «كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدام الله!» (آيتا 1، 2). يشبِّه المرنم نفسه بالأيائل والغزلان التي تحتاج للماء الوفير، خصوصاً في مواسم الحر والجفاف، فيصرخ طالباً الله ينبوع الماء الحي: «يا رب.. يَروَوْن من دسم بيتك، من نهر نعمك تسقيهم.. لأن عندك ينبوع الحياة» (مز 36: 6، 8، 9) ولن ترتوي النفس الحية إلا بالله الحي. وما أسعد الإنسان الحي، الذي نال الحياة الجديدة من الله، فارتوى بربِّه الذي يحفظ له استمرارية هذه الحياة ويضمنها، فتستمر العلاقة الشخصية الدافئة بينه وبين إلهه. وما أتعس من يعاتبهم الله بالقول: «شعبي عمل شرَّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشقَّقة لا تضبط ماءً» (إر 2: 13).

عندما هرب داود أمام أبشالوم بعيداً عن بيت الرب، حمل صادوق الكاهن واللاويون تابوت الرب إلى حيث كان داود، فأمرهم أن يُرجِعوه إلى مكانه، وقال: «إن وجدتُ نعمة في عيني الرب فإنه يُرجعني ويُريني إياه ومسكنه» (2صم 15: 25). ويربط المرنم بين رضى الله عليه ومثوله في حضرته في هيكله ليتعبَّد. وكان هذا شعوره الدائم، فنسمعه يقول: «عطشَت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرض ويابسة ناشفة بلا ماء» (مز 63: 1). لقد ملأ حب الله قلبه، فخلق في داخله شوقاً قوياً إلى الله نفسه، فأراد أن يتراءى (يظهر) أمام الرب.

كان داود قد خسر الكثير بهروبه أمام أبشالوم: خسر عرشه، وسلطانه، والراحة في قصره. كما خسر سُمعته بسبب سوء تصرُّف ولده. ولكن المرنم اعتبر خسارة الملك الحقيقية كانت حرمانه من بيت الرب، فأعلن شوقه وشوق الملك للعبادة فيه. ولا يحسُّ بقيمة امتياز العبادة إلا من يُحرَم منها. وعندما نحسُّ بالأشواق الروحية نعلم أن الله لم يتركنا، كما أننا لم نتركه!

ويحتاج المسيحيون في كل العالم إلى تنمية شوق خاص إلى بيت الرب في يوم الرب، خصوصاً في البلاد التي يكون فيها يوم الرب يوم عمل رسمي. وعليهم أن يبذلوا جهداً خاصاً ليقولوا مع المرنم: «متى أجيء وأتراءى قدام الله!» في يوم الرب وفي بيت الرب.

**2 - حالة حزن:** (آيتا 3، 4).

**(أ) بسبب تعييرات العدو:** «صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً، إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك؟» (آية 3). امتنع المرنم عن الطعام بسبب الحزن لأنه ابتعد عن بيت الله، وصارت له الدموع محل الخبز! وزاد من آلامه أن أعداءه سخروا من تديُّنه وعبادته وقالوا له: أين إلهك الذي طالما صليت له وعبدتَه وكتبتَ عنه المزامير؟.. كانت اختبارات داود الروحية كثيرة، تحدَّث عنها عندما أخذه الرب من وراء الغنم وجاء به إلى العرش، فقال إن الرب راضٍ عنه، وإنه يضع ثقته في إلهه أما الآن فإن الرب بعُد عنه وتركه! في ذلك الوقت العصيب سبَّ شمعي بن جيرا الملك داود وقال له: «قد ردَّ الرب عليك كل دماء بيت شاول.. وها أنت واقعٌ بشرِّك لأنك رجل دماء» (2صم 16: 8) مع أن الرب هو الذي اختار داود ليكون ملكاً وأعطاه المُلك.

وعندما يسمح الله لنا بآلام وتجارب، كثيراً ما نسمع السؤال: «أين إلهك؟». ثار هذا السؤال عندما نشبت الأفعى في يد بولس، فظنَّه الذين رأوا ذلك مجرماً لم يدعه العدل يحيا، ولكن الرب أنقذ الرسول بمعجزة (أعمال 28: 3، 4). وهذا ما يحدث دائماً مع الذين يحبون الله. فإذا حدث معك فلا تفقد الأمل، بل ضع رجاءك في الله.

**(ب) بسبب الحرمان من بيت الرب:** «هذه أذكرها فأسكب نفسي عليَّ، لأني كنت أمرُّ مع الجُمَّاع، أتدرَّج معهم إلى بيت الله بصوت ترنُّم وحمد، جمهور مُعيِّد» (آية 4). وزاد حزن المرنم وهو يعود بالذاكرة إلى الأيام الجميلة التي كان يذهب فيها لبيت الرب عابداً ومعيِّداً، يقود المجتمِعين للعيد من كل أنحاء المملكة، وهم يتدرَّجون صاعدين التل الذي بُني عليه بيت الرب، ويرتلون مزامير الترنُّم والحمد التي كتبها لتلك المناسبة المبهجة. «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار» (مز 84: 10). صحيحٌ أن الحزن يزيد عندما يذكر الإنسان الأفراح السابقة، ولا يحس بروعة الشيء إلا المحروم منه. ولكن المرنم يردّ على تعيير الساخرين منه بقوله إنه كان يعبد الله بالروح والحق، وإن هذا الإله الأمين لن يتركه في محنته.

**3 - حالة أمل:** «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي الله، لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه» (آية 5). انحنت نفس المرنم تحت ضغط الظروف المؤلمة التي كان يجوز فيها، ولكنه لم يبقَ في تلك الحالة، بل سرعان ما سحب نفسه منها ورفع وجهه إلى فوق من حيث يأتي عونه. ودار الحديث بين نفسه الحزينة وإيمانه الراسخ، فآمن على الرجاء الإلهي، خلافاً للرجاء البشري، كما فعل جدُّه إبراهيم (رو 4: 18)، وقال لنفسه: «لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه» أي لأجل الخلاص الذي يعمله الرب. «أراقب الرب. أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوَّتي. إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نورٌ لي» (مي 7: 7، 8). عندما وقع ظل الصليب الثقيل على المسيح قال: «الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول؟ أيها الآب نجِّني من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو 12: 27) فاختفى الاضطراب أمام عظمة مسؤولية صُنع الخلاص للبشر الخطاة.

قد تشترك مع يعقوب أبي الأسباط في شكواه، في حالة يأسٍ وهو يقول: «صار كل هذا عليَّ» (تك 42: 36)، أو مع المتألم وهو يقول: «ليته هلك اليوم الذي وُلدتُ فيه» (أي 3: 3)، أو مع المعمدان السجين وقد أصابه الشك، فأرسل تلميذين إلى المسيح يسألانه: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (مت 11: 3). وستسمع صوته يقول لك: «لأني أنا الرب إلهك.. إذ صِرتَ عزيزاً في عينيَّ مكرَّماً، وأنا قد أحببتُك» (إش 43: 3، 4). عندها ستخرج من اليأس إلى الأمل وأنت تقول: «أحبُّك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي، إلهي صخرتي به أحتمي. تُرسي وقرن خلاصي وملجإي» (مز 18: 1، 2). فتهتف شاكراً: «أحمده لأجل خلاص وجهه».

# ثانياً - اكتئاب التقي وعزاؤه

## (مز 42: 6-11)

**1 - سبب الاكتئاب:** (آيتا 6، 7).

**(أ) البُعد عن بيت الرب:** «يا إلهي، نفسي منحنية فيَّ، لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون، من جبل مِصعَر» (آية 6). أوضح المرنم أن اكتئابه واكتئاب داود كانا بسبب بُعدهما عن بيت الله في أرض الأردن وجبال

حرمون وجبل مصعر، وهي الأماكن التي هرب إليها داود من وجه ابنه، وكلها على أطراف كنعان، بعيداً عن بيت الرب، فعبر المرنم عن حزنه بسبب حرمانه وحرمان الملك من بيت الرب.

ولكنه في ذكر سبب اكتئابه يعبِّر عن أمله. في آية 4 ذكر آلامه ودموعه وقال: «هذه أذكرها». وهذا يقود إلى اليأس، ولكنه في آية 6 ذكر الله وقال: «لذلك أذكرك» فرجع إليه الأمل.

في آية 5 كلَّم نفسه عن انحنائه تحت ثقل الهمّ، فقال: «لماذا أنت منحنية يا نفسي؟» ولكنه في آية 6 اتَّجه إلى حل المشكلة، فخاطب الله واشتكى له همَّه قائلاً: «يا إلهي، نفسي منحنية فيَّ».

**(ب) توالي المصائب:** «غمرٌ ينادي غمراً عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمت عليَّ» (آية 7). كان اكتئابه الشديد مثل الأمواج الغاضبة المتلاحقة، وكأن ماءً كثيراً يتبعه ماءٌ كثير يجري في الميازيب (وهي القنوات) يتابعه حتى يكاد يغرقه. لم تأته المصائب فُرادى بل لاحقته بالصوت المرتفع كالصيحة والسيل، من داخل بيته، ومن أصحابه، فمضى يتساءل في حزن: «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي، ولماذا تئنّين فيَّ؟».

عندما نخاطب أنفسنا: لماذا أنت منحنية؟ تجيبنا أنها ضعيفة عاجزة بلا موارد، فيدور الإنسان حول نفسه في دائرة مفرغة حزينة. ولكن المرنم يعلمنا كيف نخرج من هذه الدائرة بالاتجاه إلى الرب قائلين: يا إلهي، أرفع إليك مظلمتي وضيقة نفسي. أذكرك فأشكرك. فليكن وجه الرب أمامنا دائماً.

**2 - علاج الاكتئاب:** (آيتا 8، 9).

**(أ) الرحمة الإلهية:** «بالنهار يوصي الرب رحمته» (آية 8أ). بالرغم من اكتئاب المرنم وبكائه إلا أنه يعلم أن الإله المحب الرحيم يهتم دائماً بعبده الحزين. في النهار يوصي رحمته لتحيط به، وفي الليل يحفظه ويعطيه راحة. «الجاعل أنفسنا في الحياة، ولم يسلم أرجلنا إلى الزلل» (مز 66: 9).

**(ب) الصلاة:** «بالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي. أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو؟» (آيتا 8ب، 9). يعبِّر المرنم عن مشاعره وآماله في الرب بكلمات صلاة وبأنشودة ترتيل، فيرنم تسبيحةً ويصلي للإله الذي به يحيا ويتحرك ويوجد.

**3 - عودة الاكتئاب:** «بسحقٍ في عظامي عيَّرني مضايقيَّ، بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟» (آية 10). يقتنع العقل بحقائق عظيمة كثيرة، لكن القلب لا يقدر دوماً أن يتبع العقل في السلوك بموجبها. كان المرنم يعلم بعقله أن الله صخرته وملجأه، وأنه لن يترك محبيه. غير أن قلبه المكتئب لم يقدر أن يطمئن، فعاد يعبر عن اكتئابه، فقال إن أعداءه عادوا يضايقونه ويعيِّرونه كل يوم بأن إلهه تركه. صحيحٌ أنهم سبق وقالوا له ذلك، وصحيحٌ أنه انتصر بنعمة الله على التأثيرات المؤلمة لهذا القول الباطل، وامتلأ قلبه بما كان مقتنعاً به عقلياً. غير أن تكرار تعيير الأعداء أضعف أمله، فعاد يسأل الله: لماذا نسيتني؟.. لقد سحق مضايقوه عظامه بكلامهم المثبط، فاتجه في حزنه مصلياً، يبسط كل ما يسمع أمام الله، كما بسط الملك حزقيا من بعده رسائل أعدائه أمام الرب (إش 37: 14).

**4 - نهاية الاكتئاب:** «لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (آية 11). هناك أمل، فإن الله حي وموجود. ولنقارن هذه الآية بآية 5 التي تقول: «أحمده لأجل خلاص وجهه». صار خلاصُ وجه الله خلاصَ وجه المرنم. صار ساكنُ السموات إلهَ المرنم الذي ينتمي إليه. تكلم عن إلهٍ يخلص، والآن يتكلم عن الإله الذي يخلصه، والذي يقول عنه: «الإله الذي أنا له والذي أعبده» (أع 27: 23). ومن سواه يستحق العبادة؟ هو

وحده الذي يستحق. فليكن شعارنا: «فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل 2: 20).

# ثالثاً - أشواق التقي

## (42: 1-5)

بعد أن وصف المرنم حالته في البلاد البعيدة عن بيت الله، واكتئابه النفسي من الداخل والخارج، أوضح في مزمور 43 ثلاثة أشواق: شوق للبراءة من اتهامات العدو له (آيتا 1، 2) وشوق للعودة للعبادة في بيت الله (آيتا 3، 4) وشوق للحياة السعيدة (آية 5).

**1 - شوق للبراءة من الاتهامات الظالمة:** «اقضِ لي يا الله وخاصِم مخاصمتي مع أمة غير راحمة، ومن إنسان غش وظلم نجِّني، لأنك أنت إله حصني. لماذا رفضتني؟ لماذا أتمشَّى حزيناً من مضايقة العدو؟» (آيتا 1، 2). يطالب المرنم الله أن يتبنَّى قضيته، ويقف محامياً عنه من أُمَّة ظالمة، ومن شخص غشاش، ليُظهِر براءته. وقوله «إنسان غش وظلم» يصف أبشالوم الذي قام بانقلاب فاشل ضد أبيه، ووجَّه إليه اتهامات كثيرة باطلة. ويصف أيضاً أخيتوفل الجيلوني، مستشار الملك الذي كان محتالاً ماكراً، وقد انقلب عليه وانضم إلى أبشالوم. وصدَّق الشعب ما قاله الابن العاق ضد أبيه، وانحاز كثيرون إلى الكذب وناصروا الابن، فوصفهم المرنم بأنهم «أمة غير راحمة».

كان المرنم يعلم أن الله حصن الملك داود. فتساءل: لماذا يرفضه؟ ولماذا يتركه يتمشَّى حزيناً في بلاد الغُربة مطروداً من العدو؟ وإلى من يذهب والحماية الوحيدة هي في إلهه الصالح؟ وكأنه يقول: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» (يو 6: 68).

**2 – شوق للعودة للعبادة في بيت الرب:** «أرسِل نورك وحقك، هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك، فآتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة فرحي، وأحمدك بالعود يا الله إلهي» (آيتا 3، 4). طلب المرنم نور الله وحقه ليهدياه إلى بيت الرب، وكأن النور والحق شخصان، فيشرق وجه الله بالرضا عليه كما أشرق على أجداده في صحراء سيناء وهم يسافرون من مصر إلى أرض الموعد، فسار أمامهم في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، نهاراً وفي عمود نار ليضيء لهم ليلاً (خر 13: 21). لقد طالب بنور الله وحقه من «الأوريم والتُّمّيم» (أي الأنوار والكمالات) اللذين كانا يوضعان في «صُدرة القضاء» على قلب هارون رئيس الكهنة عند دخوله أمام الرب، فيحمل هارون قضاء بني إسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً (خر 28: 30).

أما الهدف من طلب الرنم هذه الهداية فهو التواجد في بيت الله للعبادة، فيقول: «فآتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة فرحي» (آية 4أ). يفرح المرنم ويبتهج بتقديم ذبائحه في بيت الله، فعلى مذبح الله يقدم «ذبيحة المحرقة» للتكفير عنه طالباً رضى الرب (لا 1: 3–9)، و«ذبيحة الخطية» للتكفير عن خطايا السهو والجهل (لا 4: 1–5: 13)، و«ذبيحة الإثم» للتكفير عن الإثم باعتبار أنه ضد أحكام الله (لا 5: 14–6: 7)، و«ذبيحة السلامة» للتعبير عن الشكر لله (لا 3: 1–5). وكانت هذه الذبائح كلها رمزاً للمسيح الفادي وللذبح العظيم الذي قدَّم نفسه عنّا، فأوجد لنا فداءً أبدياً (عب 9: 12). «عالمين أنكم افتُديتُم.. بدم كريم كما من حملٍ بلا عيب ولا دنس، دم المسيح» (1بط 1: 18، 19).

لنتصور المرنم في آخر أرض كنعان، يذكر ثورة أبشالوم على أبيه وتعيير الأعداء له، ومع ذلك يعلن بثقة الرجاء أنه سيقدم للرب ذبيحة مقبولة، ويعلن فرحه بالله «بهجة قلبي» ويرتل: «أحمدك بالعود» (آية 4ب). هذه أشواق مؤمن مختبر، يحب الرب، ويعتبر أن عبادته بفرح وترنم وحمد هي أهم شيء عنده.

**3 - شوقٌ للحياة السعيدة:** «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجّي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (آية 5). يكرر المرنم حديثه لنفسه، فيشجعها أن تترجَّى الله، لأنه سيظل يحمده لأنه خلاصه، وإلهه. وأدعوك أيها القارئ أن تختبر صلاح إلهك الذي ينقذك من كل يأس، ليخرجك من أي اكتئاب قد يصيبك، لتتمتع بحياة السعادة التي يريدها الله لك، لأنه خلاص وجهك. أَنشِئ علاقةً شخصية بينك وبين الله بالتوبة والطاعة، فتدعوه «إلهي» وهو يدعوك «عبدي وابني وحبيبي» فيتشوَّق قلبك دائماً إلى بيته، وإلى الوجود في محضره.

### اَلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. قَصِيدَةٌ

1اَللهُمَّ بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا. آبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا بِعَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي أَيَّامِهِمْ، فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ. 2أَنْتَ بِيَدِكَ اسْتَأْصَلْتَ
الأُمَمَ وَغَرَسْتَهُمْ. حَطَّمْتَ شُعُوباً وَمَدَدْتَهُمْ. 3لأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمِ امْتَلَكُوا الأَرْضَ، وَلاَ ذِرَاعُهُمْ خَلَّصَتْهُمْ، لَكِنْ يَمِينُكَ
وَذِرَاعُكَ وَنُورُ وَجْهِكَ، لأَنَّكَ رَضِيتَ عَنْهُمْ.

4أَنْتَ هُوَ مَلِكِي يَا اللهُ، فَأْمُرْ بِخَلاَصِ يَعْقُوبَ. 5بِكَ نَنْطَحُ مُضَايِقِينَا. بِاسْمِكَ نَدُوسُ الْقَائِمِينَ عَلَيْنَا. 6لأَنِّي
عَلَى قَوْسِي لاَ أَتَّكِلُ، وَسَيْفِي لاَ يُخَلِّصُنِي. 7لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَّصْتَنَا مِنْ مُضَايِقِينَا، وَأَخْزَيْتَ مُبْغِضِينَا. 8بِاللهِ نَفْتَخِرُ
الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَاسْمَكَ نَحْمَدُ إِلَى الدَّهْرِ. سِلاَهْ.

9لَكِنَّكَ قَدْ رَفَضْتَنَا وَأَخْجَلْتَنَا، وَلاَ تَخْرُجُ مَعَ جُنُودِنَا. 10تُرْجِعُنَا إِلَى الْوَرَاءِ عَنِ الْعَدُوِّ، وَمُبْغِضُونَا نَهَبُوا
لأَنْفُسِهِمْ. 11جَعَلْتَنَا كَالضَّأْنِ أَكْلاً. ذَرَّيْتَنَا بَيْنَ الأُمَمِ. 12بِعْتَ شَعْبَكَ بِغَيْرِ مَالٍ، وَمَا رَبِحْتَ بِثَمَنِهِمْ. 13تَجْعَلُنَا
عَاراً عِنْدَ جِيرَانِنَا، هُزْأَةً وَسُخْرَةً لِلَّذِينَ حَوْلَنَا. 14تَجْعَلُنَا مَثَلاً بَيْنَ الشُّعُوبِ، لإِنْغَاضِ الرَّأْسِ بَيْنَ الأُمَمِ. 15الْيَوْمَ
كُلَّهُ خَجَلِي أَمَامِي، وَخِزْيُ وَجْهِي قَدْ غَطَّانِي. 16مِنْ صَوْتِ الْمُعَيِّرِ وَالشَّاتِمِ. مِنْ وَجْهِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ.

17هَذَا كُلُّهُ جَاءَ عَلَيْنَا، وَمَا نَسِينَاكَ وَلاَ خُنَّا فِي عَهْدِكَ. 18لَمْ يَرْتَدَّ قَلْبُنَا إِلَى وَرَاءٍ، وَلاَ مَالَتْ خَطْوَتُنَا عَنْ
طَرِيقِكَ، 19حَتَّى سَحَقْتَنَا فِي مَكَانِ التَّنَانِينِ، وَغَطَّيْتَنَا بِظِلِّ الْمَوْتِ. 20إِنْ نَسِينَا اسْمَ إِلَهِنَا، أَوْ بَسَطْنَا أَيْدِيَنَا إِلَى إِلَهٍ
غَرِيبٍ، 21أَفَلاَ يَفْحَصُ اللهُ عَنْ هَذَا، لأَنَّهُ هُوَ يَعْرِفُ خَفِيَّاتِ الْقَلْبِ؟ 22لأَنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. قَدْ حُسِبْنَا
مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ.

23اِسْتَيْقِظْ. لِمَاذَا تَتَغَافَى يَا رَبُّ؟ انْتَبِهْ. لاَ تَرْفُضْ إِلَى الأَبَدِ. 24لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ وَتَنْسَى مَذَلَّتَنَا
وَضِيقَنَا؟ 25لأَنَّ أَنْفُسَنَا مُنْحَنِيَةٌ إِلَى التُّرَابِ. لَصِقَتْ فِي الأَرْضِ بُطُونُنَا. 26قُمْ عَوْناً لَنَا، وَافْدِنَا مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ.

# إله الماضي والحاضر والمستقبل

هذا المزمور صرخة مؤمنين مُضطهَدين وهم أبرياء. فالمرنم لا يذكر أنهم خانوا عهد إلههم، لكنهم يعانون من هزيمتهم أمام أعدائهم ومن سخرية الأعداء بهم. لقد اتَّخذ آباؤهم وأجدادهم الله إلهاً لهم، كما اتَّخذوه هم في كل مراحل حياتهم سيداً ورباً لهم، وافتخروا باسمه القدوس. لكن فجأة حدث شيء لم يتوقعوه، فقد رفضهم الله وأخجلهم! فعاتبوه بالقول: يا إله آبائنا، كيف تتركنا في هذا الحال؟ ويختمون المزمور بصلاة: «قُم عوناً لنا، افدنا من أجل رحمتك».

وقد ربط المفسِّر «دلتش» بين هذا المزمور ومزمور 60، وقارن بين مز 44: 9، 23 مع 60: 1، 10 و44: 5 مع 60: 12 و44: 3 مع 60: 5 ، وقال إن المزمورين كُتبا بمناسبة غارة حربية أدومية ضد مملكة يهوذا في وقت كان داود فيه مشغولاً بمعركة مع العمونيين والأراميين، فتذكر الشعب انتصاراتهم الماضية على الأعداء، وطالبوا الله بالمؤازرة والنصرة.

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – الله إله الماضي (آيات 1–3)

ثانياً – الله إله الحاضر والمستقبل (آيات 4–8)

ثالثاً – الاختبار المؤلم (آيات 9–16)

رابعاً – إعلان البراءة (آيات 17–22)

خامساً – صلاة (آيات 23–26)

# أولاً - الله إله الماضي
## (آيات 1-3)

**1 - آباؤنا أخبرونا:** «اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعملٍ عملتَه في أيامهم في أيام القِدم» (آية 1). كان عمل الله مع شعبه في القديم، بسبب نعمته لا بسبب استحقاقهم، فقد طرد سكان كنعان من أمامهم وأسكنهم في أرضهم. وأمر شعبه أن يتأمّلوا الماضي ولا ينسوه. ولا بد أن بعض هذا التاريخ كان في ذاكرة الحفّاظ قبل تدوينه. وسعيد هو الإنسان الذي يتحدث عن عمل الله مع آبائه وأجداده، ويذكر إيمان أبيه وأمه وجدِّه، كما تساءل جدعون: «أين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا؟» (قض 6: 13) ، وكما كان تيموثاوس يقدر أن يفتخر بالإيمان العديم الرياء الذي سكن أولاً في أمه لوئيس وجدته أفنيكي، ولكنه كان فيه أيضاً (2تي 1: 5). وعمل الله في الماضي ليس مجرد اختبار فرد واحد، ولا هو اختبار عاطفي، ولا مجرد خيالات، لكنه تاريخ حي وأمر واقع في تاريخ شعب الله كله. فالرب هو إله الماضي، إله الأباء والجدود، وهو الإله القديم، والملجأ (تث 33: 27). وتعامل شعبه معه لا يجيء من فراغ، لذلك نتَّخذ من اختبارات الماضي ما يقوّينا في يومنا الحاضر، ويدفعنا إلى مزيد من الثقة في الرب في المستقبل. لقد أخبرنا آباؤنا بعمل الله في حياتهم، وهكذا لنفعل مع أبنائنا «لكي تخبر في مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلتُه.. فتعلمون أني أنا الرب» (خر 10: 2). «دورٌ إلى دور يسبح أعمالك، وبجبروتك يخبرون» (مز 145: 4).

**2 - استأصل العدو وغرس شعبه:** «أنت بيدك استأصلتَ الأمم وغرستهم. حطمت شعوباً ومدَدْتهم» (آية 2). فتحقَّق القول: «تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك. المكان الذي صنعتَه يا رب لسكنك» (خر 15: 17). «كرمة من مصر نقلتَ. طردتَ أمماً وغرستها.. مدَّت قضبانها إلي البحر، وإلى النهر فروعها» (مز 80: 8، 11).

**3 - ليس بقوّتهم، بل برضاه عليهم:** «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلَّصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك، لأنك رضيت عنهم» (آية 3). حطم الله شعوباً مضادة، ومدَّ جماعة الإيمان لتنمو، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، فامتلكوا الأرض ليس بقوتهم ولا بسيفهم، وكان قد قال لهم: «لا تقُل في قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً: لأجل برّي أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك.. ليس لأجل برِّك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها» (تث 9: 4–6) «لأن الرب إلهكم قد يبَّس مياه الأردن من أمامكم حتى عبرتُم كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذي يبَّسه من أمامنا حتى عبرنا، لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية، لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام» (يش 4: 23، 25). لقد أسقط أسوار أريحا المنيعة أمامهم، فعاد المجد كله له وحده.

# ثانياً - الله إله الحاضر والمستقبل

## (آيات 4-8)

بعد التأمل في عمل الله الماضي، نال المرنم شجاعة وثقة وأمناً في الحاضر وللمستقبل. لقد كان مــع الآبــاء وحقَّــق وعوده لهم، فلا بد أن يكون مع الأبناء، وأن يحقق وعوده مع المعاصرين، لأنه لا يتغيَّر. إنه الملك وهم رعاياه. قال عنــه يعقوب: «الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم. الملاك الذي خلَّصني من كل شر» (تك 48: 5، 16). ويبني المرنم ثقته على خمس حقائق:

**1- الله ملكه:** «أنت هو ملكي يا الله» (آية 4أ). يخطط الملك لمملكته، ويدافع عن شعبه، وعليهم أن يسمعوا توجيهاته ويطيعوها. قال موسى لله: «إن كنتُ قد وجدتُ نعمةً في عينيك، فعلِّمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمةً فــي عينيــك، وانظُر أن هذه الأمة شعبك» (خر 33: 13).

**2 - الله يستجيب الصلاة:** «فَأْمُر بخلاص يعقوب» (آية 4ب). لقد خلَّصهم من قبل، ولا بد أن يخلِّصــهم اليــوم مــن المرض والضيق والخطية. إنهم يعرفون قوته ومدى اتساع سلطته، فيطالبونه أن يأمر بخلاصهم من كل ضيق.

**3 - الله قوي:** «بك ننطح مضايقينا. باسمك ندوس القائمين علينا» (آية 5). يستعير المرنم أسماء أسـلحة الحــرب الموجودة في وقته، من ثور ينطح أو فيل يدوس. وقد بارك موسى سبط يوسف بقوله:«بِكْرُ ثوره زينةٌ له، وقرنــاه قرنــا رئمٍ. بهما ينطح الشعوب معاً إلى أقاصي الأرض» (تث 33: 17).

**4 - كل ما عدا الله باطل:** «لأني على قوسي لا أتكل، وسيفي لا يخلصني» (آية 6). وهو القائل: «وأما بيت يهــوذا فأرحمهم وأخلِّصهم بالرب إلههم. ولا أخلِّصهم بقوسٍ وبسيفٍ وبحربٍ وبخيلٍ وبفرسان» (هو 1: 7).

**5 - الله أمين:** «لأنك أنت خلَّصتنا من مضايقينا وأخزيتَ مبغضينا. بالله نفتخر اليوم كله واسمك نحمد إلى الــدهر» (آيتا 7، 8). هذه اختبارات شعب الرب كما اختبرها آباؤهم من قبلهم، فليس لهم ما يفتخرون به إلا الانتماء إلــى الــرب والاعتماد على محبته الإلهية التي تساند، فيظلون يرنمون ترنيمة الانتصار.

# ثالثاً - الاختبار المؤلم

## (آيات 9-16)

ذكر المرنم عظمة فعل الله مع شعبه في الماضي، وبنى على ذلك ثقتهم به في الحاضر والمستقبل. ولكنه ذكر أيضــاً أن الواقع يخالف ما توقَّعوه، فطالب الرب به. لقد سلَّمهم ليد أعدائهم، وسمح للمهاجمين أن يسخروا منهم.

**1 - سبب الاختبار المؤلم:** «لكنك قد رفضتنا وأخجلتنا، ولا تخرج مع جنودنا» (آية 9). يتألم المرنم لأن الإله الملك القوي الأمين سامع الصلاة رفض شعبه وأخزاهم فهزمهم العدو. وكان بنو إسرائيل أحياناً يأخذون التابوت ليتقــدَّمهم فــي الحرب، رمزاً لحضور الله معهم (عد 10: 35). ولكن الهزيمة جعلت المرنم يقول إن الله رفض شعبه ولم يعد يخرج مع جنودهم.

**2 - وصف الاختبار المؤلم:** (آيتا 10، 11).

(أ) الهزيمة: «تُرجِعنا إلى الوراء عن العدو» (آية 10أ).

(ب) النهب: «مبغضونا نهبوا لأنفسهم. جعلتنا كالضأن أكلاً» (آيتا 10ب، 11أ). ذُبح بعضهم كالأغنام، وبيع بعضهم عبيداً، فأُبعدوا عن بلادهم وهيكل عبادتهم (يوء 3: 6).

(ج) السبي: «ذرّيَّتنا بين الأمم» (آية 11ب). ولكن «ألعلَّ الله رفض شعبه؟ حاشا!.. لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه» (رو 11: 1، 2).

**3 - نتيجة الاختبار المؤلم:** (آيات 12-16).

(أ) **معاتبة الرب:** «بِعْتَ شعبك بغير مال، وما ربحتَ بثمنهم» (آية 12). يعاتب المتألمون الرب بأنه باعهم بغير مال، وكأنهم لا يستحقون أن يُدفَع فيهم ثمن! ولكن لم يحدث أبداً أن الله باع شعبه، بل إنه اشتراهم لا بفضة ولا بذهب، لكن بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح (1بط 1: 18، 19). ولكن الروح القدس سجّل لنا عتاب شعب الرب له ليؤكد لنا أن عتابنا لله سيلقى منه القبول والعناية.

(ب) سخرية العدو: «تجعلنا عاراً عند جيراننا. هزأة وسخرية للذين حولنا. تجعلنا مثلاً بين الشعوب لإنغاض الرأس بين الأمم» (آيتا 13، 14). كان جيرانهم من الفلسطينيين والأدوميين والعمونيين والموآبيين يحسدونهم ويحقدون عليهم، فلما رأوا هزيمتهم شمتوا بهم وسخروا منهم، لأن الإله الذي افتخروا به تخلى عنهم. «يصفِّق عليك بالأيادي كل عابري الطريق. يصفرون وينغضون رؤوسهم.. قائلين: أهذه هي المدينة التي يقولون إنها كمال الجمال، بهجة كل الأرض!» (مرا 2: 15).

(ج) صِغَر النفس: «اليوم كله خجلي أمامي، وخزي وجهي قد غطاني من صوت المعيِّر والشاتم، من وجه عدوٍّ ومنتقمٍ» (آيتا 15، 16). كانت هزيمتهم كبيرة، ماثلة أمامهم، فظهر الخزي على وجوههم وغطاهم، لأن معيِّريهم شتموهم. وأحسّوا بصِغر النفس وحقارة القيمة. ولا شك أن الإله المحب يسمح بالألم للمؤمنين عقاباً، أو تنقيةً. وفي وقت إحساسهم بعدم القيمة يلجأون إلى المراحم الإلهية أكثر، فيعطيهم الرب بركات من آلامهم.

# رابعاً - إعلان البراءة
## (آيات 17-22)

في هذه الآيات يقول المرنم إنه وشعبه لا يستحقون هذه المعاملة القاسية من الله، لأنهم يعانون من أعدائهم بسبب انتمائهم له.

**1 - لم يخونوا عهد الرب:** «هذا كله جاء علينا، وما نسيناك ولا خُنّا في عهدك. لم يرتدَّ قلبنا إلى وراء، ولا مالت خطوتنا عن طريقك، حتى سحقتنا في مكان التنانين، وغطيتنا بظل الموت» (آيات 17-19). كان هناك عهد بين الرب وشعبه، بدأ بإبراهيم الخليل (تك 17: 7)، وتأكد للشعب في سيناء (خر 19: 5 و24: 7، 8)، وكانت علامته الختان (تك 17: 2-4) ، وكان رمزه تابوت العهد (عد 10: 33)، وكان دستوره الوصايا العشر (تث 9: 9). ويؤكد المرنم أن شعبه وقت تلك الهزيمة لم يخونوا العهد كما فعل بعض آبائهم. ومع ذلك فقد سمح الله أن تصبح بلادهم خراباً، وجعلها مكان تنانين (أي: مكان بنات آوى)، ولفَّهم بظل الموت الذي هو الظلمة الحالكة.

**2 - لم يعبدوا الوثن:** «إن نسينا اسم إلهنا أو بسطنا أيدينا إلى إله غريب، أفلا يفحص الله عن هذا، لأنه هو يعرف خفيات القلب؟» (آيتا 20، 21). مدُّ اليد وبَسْطها علامة الصلاة وانتظار العون. ولم يحدث أن الشعب نسي إلهه وقت تلك الهزيمة واتَّجه إلى الأصنام. ولو أنهم فعلوا هذا لعرَفَ الربُّ بالأمر، لأنه يعرف أفكار القلب ونيّاته، كما قال أيوب: «أليس هو ينظر طرقي ويُحصي جميع خُطواتي؟» (أي 31: 4).

**3 – تألموا من أجل الرب:** «لأننا من أجلك نُمات اليوم كله. قد حُسِبنا مثل غنمٍ للذبح» (آية 22). لم يكن شعب الرب قد خانوا الرب، لكنهم تألموا من أجل اسمه، وهم أمناء له. وقد اقتبس الرسول بولس هذه الآية (رو 8: 36) ليشجع المؤمنين على احتمال الاضطهاد حتى الموت من أجل المسيح. ولو أنه أضاف إليها أننا في هذه الإماتة والذبح يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فكما احتمل رجال العهد القديم كل المتاعب بسبب انتمائهم لله، هكذا يجب أن يفعل رجال العهد الجديد، فلا يحسبون الآلام شاذة، بل متوقَّعة! «لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (في 1: 29).

**ونلاحظ في إعلان البراءة أمرين:**

(أ) يتحدث المرنم عن البراءة من الخطايا الكبيرة، رغم وجود خطايا كثيرة صغيرة فيه وفي شعبه. وكم نحتاج إلى إرشاد الروح القدس لنرى كل خطايانا، لنتوب عنها، ولا نكون أبراراً في نظر أنفسنا.

(ب) هذا المزمور تعليمي تاريخي، فقد سار الله مع الآباء والأجداد رغم ضعفهم وتقصيرهم، ولا بد سيسير بالأمانة نفسها مع الأبناء والأحفاد.

# خامساً - صلاة

## (آيات 23-26)

يختم المرنم مزموره بطلب العون الإلهي السريع. وفي هذه الصلاة طلبتين:

**1 - طلب اليقظة الإلهية:** «استيقِظ. لماذا تتغافى يا رب! انتبه. لا ترفض إلى الأبد. لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلَّتنا وضيقنا؟ لأن أنفسنا منحنية إلى التراب. لصِقت في الأرض بطوننا» (آيات 23–25). كان المرنم يعلم أن الله حافظ شعبه لا ينعس ولا ينام (مز 121: 3، 4) ولكن آلامه جعلته يظن أن إلهه غافلٌ عنه! الإيمان عادة لا يفتش على العيان، لكن المؤمن الذي أصابه الشك والضعف الروحي يفتش على المنظور، فيطلب من الرب الذي لا ينام أن يستيقظ وينتبه ولا يتغافى «لأن السيد لا يرفض إلى الأبد» (مرا 3: 31). ويطالب الرب الذي رفض شعبه وحجب وجهه عنه أن يعود فيبتسم له ابتسامة الرضا، كما قال موسى: «أساء إلينا المصريون وثقَّلوا علينا وجعلوا علينا عبودية قاسية. فلما صرخنا إلى الرب إله آبائنا سمع الرب صوتنا، ورأى مشقَّتنا وتعبنا وضيقنا» (تث 26: 6، 7). لقد ألقى العدو بالشعب أرضاً، وأذله، فانعدمت قوته ولم يعُد قادراً على الوقوف. وكانت نفس الشعب وجسده في انحناء وسقوط، ولهذا طلب انتباه الله له.

**2 - طلب العون والفداء:** «قُم عوناً لنا وافدنا من أجل رحمتك» (آية 26). لقد أعلن الله عن نفسه بقوله إنه «إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية» (خر 34: 6، 7) فطالبه المرنم أن يعلن عن نفسه بفعله، في إعانة شعبه وفدائه. وعندما تدرك رحمتُه شعبَه يقولون: «من هو

إلهٌ مثلُك، غافرٌ الإثم وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه! لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسرُّ بالرأفة. يعود يرحمنـــا. يـــدوس آثامنا، وتُطرَح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي 7: 18، 19).

ونحن اليوم ندرك بصورة كاملة كيف يكون الفداء الإلهي، فإن في المسيح «لنا الفداء. بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته» (أف 1: 7). فنصبح «متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو 3: 24). فإن كـــان المـــرنم فـــي مزموره قال «افدنا»، فإننا نقول في إنجيلنا: نشكرك لأنك افتديتنا.

## اَلْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ

### لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى السَّوْسَنِّ. لِبَنِي قُورَحَ. قَصِيدَةٌ. تَرْنِيمَةُ مَحَبَّةٍ

1فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ.

2أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. 3تَقَلَّدْ سَيْفَكَ
عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ. 4وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ
مَخَاوِفَ. 5نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ.

6كُرْسِيُّكَ يَا اللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. 7أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ
ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ. 8كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ. مِنْ قُصُورِ الْعَاجِ سَرَّتْكَ
الأَوْتَارُ. 9بَنَاتُ مُلُوكٍ بَيْنَ حَظِيَّاتِكَ. جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرٍ.

10اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، 11فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ، لأَنَّهُ هُوَ
سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ. 12وَبِنْتُ صُورٍ، أَغْنَى الشُّعُوبِ، تَتَرَضَّى وَجْهَكِ بِهَدِيَّةٍ.

13كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا. مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلاَبِسُهَا. 14بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ تُحْضَرُ إِلَى الْمَلِكِ. فِي
أَثَرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا، مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ، 15يُحْضَرْنَ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ. يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ. 16عِوَضاً عَنْ
آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ. 17أَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ
الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ.

# ترنيمة محبة

عنوان هذا المزمور «ترنيمة محبة» فالمحبة هي فكرته الرئيسية، لأنه يتحدث عن زواج الملك من ابنة الملك. وقد قال البعض إنه يتحدث عن زواج الملك سليمان من ابنة الفرعون، ولكن لن يقبل الروح القدس أن يُلهِم كاتب المزمور ليتغنَّى بارتباط سليمان بأميرة وثنية، كما لا يمكن أن يُطبَّق ماجاء في هذا المزمور على أي ملك من ملوك بني إسرائيل. وقد اصطلحت الكنيسة في عهديها القديم والجديد على أن هذا المزمور نبوَّة عن المسيح الملك وعن الكنيسة عروسه المفدية بدمه المتحدة به. وقد اقتبس كاتب العبرانيين آيتي 6، 7 من مزمورنا فقال: «وأما عن الابن: كرسيُّك يا ألله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب مُلكك. أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» (عب 1: 8، 9). وواضح أن الرسول اقتبس هاتين الآيتين من الترجمة السبعينية، وليس من التوراة العبرانية، فجاء الاختلاف في الألفاظ لا في المعاني.

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – تمجيد المسيح الملك الجميل (آيتا 1، 2)

ثانياً – تمجيد المسيح الملك المنتصر (آيات 3–9)

ثالثاً – علاقة الكنيسة بملكها (آيات 10–17)

# أولاً - تمجيد المسيح الملك الجميل

## (آيتا 1، 2)

**1- كيفية تمجيده:** (آية 1).

(أ) **تمجيد قلبـي:** «فاض قلبي بكلام صالح» (آية 1أ). لكثرة ما في قلب المرنم من مشاعر حب نحو المسيح لم يستطع أن يحتفظ بها لنفسه، ففاض بها قلبه. كما أن الموضوع الذي يتحدث فيه عزيز عليه. و«الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرِج الصالحات» (مت 12: 35).

(ب) **تمجيد خلاّق:** «متكلِّم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر» (آية 1ب، ج). أنشأ القلب الذي يحب الله قصيدة حب في الملك. كان مستعداً لتمجيد الملك بالكلام والكتابة، فالقلب العامر بالحب عَمَّر اللسان بجميل الكلام. وقد أُطلق لقب «كاتب ماهر» على عزرا الكاتب (عز 7: 6).

**2 - أسباب تمجيده:** (آية 2).

(أ) **جمال شخصه:** «أنت أبرع جمالاً من بني البشر» (آية 2أ). يمجِّد المرنم شخصية الملك الجميلة. والمسيح هو الأبرع جمالاً في ميلاده بالروح القدس من العذراء مريم. وهو الأبرع جمالاً في نموه، إذ كان يتقدَّم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لو 2: 52). وهو الأبرع جمالاً في قداسته، فقال لأعدائه: «من منكم يبكتني على خطية؟» (يو 8: 46) وقال عنه بيلاطس: «لم أجد في هذا الإنسان علَّةً» (لو 23: 14). وهو الأبرع جمالاً في تأثيره على الخطاة ليتوِّبهم، دون أن يؤثروا فيه فيرفضهم. حتى وهو على صليبه كان الأبرع جمالاً في حبه وهو يقول: «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو 23:34). وهو الأبرع جمالاً في قيامته وصعوده، وانتظار عودته، والملاكان يقولان لتلاميذه وهم يراقبون صعوده: «يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع 1: 11).

(ب) **جمال تعاليمه:** «انسكبت النعمة على شفتيك» (آية 2ب). يمجد المرنم تعاليم المسيح الجميلة غير المسبوقة «لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو 1: 17). لقد بُهت سامعوه من تعاليمه ذات السلطان. لم يرفض شخصاً وجَّه إليه سؤالاً، ولم يُمهل أحداً سأله حتى يجد الجواب، ولم يغيِّر إجابةً أجاب بها. وقدَّم إجابات واضحة وقاطعة وأكيدة على كل أسئلة الحياة الدينية الرئيسية مثل كيفية الحصول على المغفرة واستجابة الصلاة. لم يكن يقول أبداً: «لعل» بل «الحق الحق أقول لكم». ولم يقدم المسيح شريعة وقوانين، لأن شريعة موسى كانت قائمة، لكنه لمس القلب والدواخل، فالذي لا يبغض لا يقتل، والذي لا يشتهي لا يزني. ولذلك «كان الجميع يشهدون له، ويتعجَّبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه» (لو 4: 22).

(ج) **رضى الله عليه:** «لذلك باركك الله إلى الأبد» (آية 2ج). قال المسيح للآب: «لأفعل مشيئتك يا أللهُ» (عب 10: 7)، فقال له الآب: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» (مت 3: 17).

# ثانياً - تمجيد المسيح الملك المنتصر

## (آيات 3-9)

من المؤسف أن يكون لهذا الملك الجميل أعداء، يضطر أن يقتحمهم بجلاله ويُسقطهم عند قدميه. إن رئيس هذا الدهر أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح (2كو 4: 4). إن لسيدنا الجميل أعداء، يدعوه المرنم ليحاربهم. وهو لا بد يحارب ليدافع عن عروسه التي هي الكنيسة. وما أكثر أعداءه الذين يهزمهم بأن يجعلهم أحباءه، فيدمر عصيانهم بنعمته ليطيعوا نداء محبته. وما أكثر أعداءه داخل نفوس المؤمنين به «لأن اهتمام الجسد هو عداوةٌ لله، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله، لأنه أيضاً لا يستطيع. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضُوا الله» (رو 8: 7، 8). ولكن قوة المسيح فيهم تجعلهم يهتفون: «يعظم انتصارنا بالذي أحبَّنا» (رو 8: 37).

**1- سلاح الملك:** (آيتا 3، 4).

**(أ) سيفه:** «تقلَّد سيفك على فخذك أيها الجبّار» (آية 3أ). رآه الرائي و«من فمه يخرج سيفٌ ماضٍ لكي يضرب به الأمم.. وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ 19: 15، 16) ، وسيفه الخارج من فمه هو «سيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف 6: 17) و«كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين» (عب 4: 12). وسيفه الكريم يوقظ الضمائر ويبكت على الخطايا.

**(ب) جلاله:** «تقلَّد.. جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب» (آية 3ب، 4أ). جلاله أزلي، كان له قبل كون العالم (يو 17: 5). وجلاله يلمس الناس هنا والآن، بمعجزاته اليومية المتكررة، كما يلمسهم في السماويات بشفاعته أو دينونته. لقد جاءنا مولوداً في مذود، آخِذاً صورة عبد، فسبى القلوب بجلال محبته. وسيأتي مرة ثانية في جلال قدرته مع السحاب، وستنظره كل عين والذين طعنوه (رؤ 1: 7).

**(ج) صفاته:** «من أجل الحق والدَّعة والبر، فتُريك يمينك مخاوف» (آية 4ب). ينتصر المسيح بالحق الذي يقف ضد الكذب، فهو الطريق والحق والحياة (يو 14: 6). وينتصر بالدّعة التي تقف ضد الكبرياء الإنسانية، فهو الوديع المتواضع القلب. وينتصر بالبر الذي يقف ضد الخطية، فهو البار الذي ببره يبرِّر كثيرين. وبسبب هذه الصفات يُغشَى على أعدائه (لو 21: 26).

**2 - نصرة الملك:** «نَبْلُك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوبٌ تحتك يسقطون» (آية 5). لا بد أن ينتصر الملك بسيفه وجلاله وصفاته العظيمة، فيصيب نبله المسنون (وهو سهمه) قلب أعدائه فيسقطون. «يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المنافق بنفخة شفتيه، ويكون البرُّ منطقة متنيه، والأمانة منطقة حقويه» (إش 11: 4، 5).

**3 - ملكوت الملك:** (آيات 6-9).

للمسيح الملك أعداء، لا بد أن يهزمهم، ولا بد أن يملك. وتصف هذه الآيات جلال مُلكه.

**(أ) مُلكه دائم:** «كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور» (آية 6أ). إنه دائم الوجود، ودائم الاستقرار «لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية.. من الآن إلى الأبد» (إش 9: 7). هذا بخلاف عروش الأرض التي تزول دوماً، فهي لو دامت لغيرنا لما انتهت إلينا.

(ب) مُلكه مستقيم: «قضيب استقامةٍ قضيب ملكك» (آية 6ب). وقضيب الاستقامة هو صولجان العدالة والاستقامة، فالله نور، وليس فيه ظلمة البتَّة (1يو 1: 5). والله غير مجرَّبٍ بالشرور، وهو لا يجرِّب أحداً (بالشرور) (يع 1: 13).

(ج) مُلكه مفرِّح: «أحببتَ البر وأبغضْتَ الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (آية 7). وبسبب ملكوته المستقيم، وحبِّه للبر وبُغضه للإثم، مسحه الله بمسحة الفرح والرضى. وليس المقصود بالمسح بالدهن هنا تخصيص الممسوح لوظيفة الملك، بل المقصود به الابتهاج والفرح، فهو «دهن فرح عوضاً عن النوح» (إش 61: 3) ، وكانوا يدهنون الضيف العزيز إعلاناً للترحيب (مز 23: 5) ويستخدمون الدهن في المناسبات السعيدة علامة على الابتهاج، كما قال المرنم: «تدهَّنتُ بزيت طري» (مز 92: 10) لأنه في ابتهاج واطمئنان. ويبدو للعين المستعجلة أن الآيتين 6 و7 متناقضتان، فالآية 6 تقول: «كرسيُّك يا الله» والآية 7 تقول: «مسحك الله إلهك». وشرح هذا التناقض الظاهري أن الله الآب يخاطب الله الابن، «قال الرب لربي: اجلِس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز 110: 1). «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» ترينا المسيح قبل تجسُّده، وبعد صعوده إلى مجده. أما القول «مسحك الله إلهك» فترينا المسيح أثناء تواضعه وتنازله عندما أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس (في 2: 7).

عجيب هذا المسيح وليس له نظير، فهو ابن الله الوحيد. قال لتلاميذه: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو 20: 17). ولم يقُل: «أصعد إلى أبينا وإلى إلهنا» لأن صلته بالآب تختلف عن صلة التلاميذ بالآب، فهو ابن الله الوحيد، صاحب الألوهية الأزلية والبنوة الأصيلة غير المكتسبة. أما بنويتنا نحن البشر لله فهي مِن فضله وإنعامه علينا، وهي موهوبة لنا في المسيح. (د) مُلكه غني: «كل ثيابك مرٌّ وعودٌ وسليخة. من قصور العاج سرَّتْكَ الأوتار. بنات ملوكٍ بين حظيّاتك. جُعِلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير» (آيتا 8، 9). نُثرت العطور المستورَدَة غالية الثمن على ثياب الملك، فالمرُّ من شبه الجزيرة العربية، والعود يؤخذ من شجر ينمو في الهند وملايو، والسليخة لحاء شجرٍ ذي رائحة طيبة كان ينمو في الهند. أما قصر الملك فمطعَّمٌ بالعاج، تصدح الموسيقى في أرجائه تعزفها أفضل الفرق بآلاتها الوترية. يخدمه بنات ملوك الأمم. وقد خدم أبناء هذا العالم الكنيسة وسيدها عبر العصور، فرسم الفنُّ صُوره، ونظم الشعراء القصائد التي تُرتَّل في تمجيده، ولحَّن أعظم الموسيقيين السيمفونيات والأوبرات التي تمجده.. وتحمل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية رسالته، ويقدم العلم والتكنولوجيا الخدمة لملكوته السماوي. وتجلس الكنيسة عروسُه عن يمينه تتحلى بذهب أوفير، أنقى أنواع الذهب وأندره وجوداً. وهل يوجد أروع من زينة ثمر الروح القدس، الذي هو محبة فرح سلام، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة تعفف. فهل تستحق الكنيسة مجد كل هذا الثمر؟ كلا! ولكنها «جُعِلت». فمن الفاعل؟ إنه الله الذي جعل الكنيسة عن يمين سيدها وعريسها المسيح، غنية متمتعة ببركته العظيمة. ولكننا للأسف كثيراً ما نراها وقد نسيت محبتها الأولى، ووضعت سراج الإنجيل تحت سرير كسلها أو تحت مكيال انشغالها بالماديات (مت 5: 15). لكن الملك المحب يوقظها ويطهرها، ليُعيد إليها بهاء مجدها.

# ثالثاً - علاقة الكنيسة بملكها

## (آيات 10-17)

يخاطب المرنم عروس الملك، فينصحها أن تنسى بيتها القديم، وأن تسلِّم نفسها للملك، لأن كل المجد والبهاء ينتظرها عنده. ثم يقدم وصفاً للعروس في عظمة مكانتها الجديدة. ويختم مزموره بوصف ردِّ فعل الكنيسة.

**1- علاقة تكريس:** «اسمعي يا بنتُ وانظري وأميلي أذنك وانسَيْ شعبك وبيت أبيك» (آية 10). يطالب المرنم العروس أن تنسى ماضيها وأن تستمع لتوجيهات زوجها الملك، فتنال السعادة والرضا. وعلى الكنيسة أن تطيع المسيح، وأن تُخضِع إرادتها لإرادته، وعلى كل عضو فيها أن يعطيه المكانة الأولى في حياته، لأنه قال: «من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني.. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها» (مت 10: 37-39).

**2 - علاقة اطمئنان:** (آيات 11-16).

(أ) سبب رضى الملك عليها: «فيشتهي الملك حُسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي له» (آية 11). عندما تخضع الكنيسة للمسيح ينظر إليها بعين الرضا، ويُضفي عليها من كمالاته ما يزيدها جمالاً. إن الله «يُجمّل الودعاء بالخلاص» (مز 149: 4). وعلى الكنيسة أن تتزيَّن بزينة «الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن» (1بط 3: 4).

(ب) بسبب خدمة الشعوب لها: «بنت صور، أغنى الشعوب، تترضَّى وجهك بهدية» (آية 12). مدينة صور ميناء فينيقي عامر ومركز تجاري وصناعي عظيم. ويقول المرنم إن بنات صور تترضَّين وجه العروس بهدية لتبتسم لهنَّ. وعندما تؤدي كنيسة المسيح مسؤوليتها نحو المجتمع، تُرضي الرب، فيجعل أعداءها يسالمونها (أم 16: 7). وهو يسخِّر أعداءها ليخدموها. إن إلهنا الصالح يدعونا للطاعة التي تمنحنا الطمأنينة، ويضع كل إمكانياته تحت تصرفنا.

(ج) بسبب موكب العُرس: «كلها مجدٌ ابنة الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة تُحضَر إلى الملك. في إثرها عذارى صاحباتها مقدَّمات إليك. يُحضَرون بفرح وابتهاج. يُدخَلْنَ إلى قصر الملك» (آيات 13-15). أُخذت العروس إلى جناح النساء في موكب رائع، انتظاراً للقاء الملك، وقد لبست أفخر الثياب، تحيطها وصيفات الشرف، وعزف الموسيقى البهيجة، وأصوات الغناء الشجية، استعداداً للمثول في الحضرة الملكية. ثم يصل الموكب البهيج إلى القصر الملكي. ويذكِّرنا هذا الوصف بمثل العذارى الحكيمات. فلنكن مستعدين ليوم الزفاف المفرح حتى لا يُغلق الباب ونحن في الخارج. ولنكن شركاء المجد الإلهي فنكون ضمن الحفل الملكي الذي يريده لنا المسيح، فلا بد أن يتَّحد به المؤمنون. «لنفرح ونتهلل ونعطه المجد، لأن عُرْس الحمل قد جاء، وامرأته (الكنيسة) هيَّأت نفسها، وأُعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً، لأن البزَّ هو تبرُّرات القديسين» (رؤ 19: 7، 8).

(د) بسبب التعويض الإلهي: «عوضاً عن آبائكَ يكون بنوكَ، تُقيمهم رؤساء في كل الأرض» (آية 16). تترك العروس بيت والديها، فيعوِّضها الله ببنيها الناجحين. قال إخوة رفقة لها، وهي تترك بيت والديها لتذهب إلى بيت زوجها إسحاق: «أنت أختنا. صيري ألوف ربوات، وليرِثْ نسلُك باب مبغضيه» (تك 24: 60). ويعد الرب الكنيسة بأبناء روحيين يكونون رؤساء في كل الأرض، لأن الودعاء يرثون الأرض (مت 5: 5). وستخضع الأرض كلها للمسيح الملك، وسيأتي الرب ومعه قديسوه يدينون العالم (1كو 6: 2).

قال بطرس للمسيح: «تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟» فأجابه: «متى جلس ابن الإنسان علـــى كرســـي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. وكل من ترك بيوتاً أو إخـــوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف، ويرث الحياة الأبدية» (متـــى 19: 27–29).

**3 - علاقة عهد:** «أَذكرُ اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد» (آية 17). يمتلئ قلب العروس بحب العريس، فتذكر اسمه دائماً. وترى الشعــوب محبــة الكنيسة للمسيح وولاءهــا لـــه، وترنيمهــا بتسبيحه، فتحمده معها إلى الدهر والأبد.

لقد أحبَّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها «لكي يقدسها مطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفســه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غضنٌ أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف 5: 26، 27). وستظل الكنيسة تتغنى بحب المسيح لها، ورفعه لشأنها، فيرى المسيح منها نسلاً تطول أيامه ومسرَّة الرب بيده تنجح (إش 53: 10).